

293702 – هل يفر لوط عليه السلام من امرأته يوم القيامة ؟

السؤال

لقد قرأت أن لوطا عليه السلام هو النبي الذي يفر من امرأته ، فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان كذلك ، فما الدليل ؟ و لماذا لوط وليس نوحا هو الذي يفر من زوجته رغم أن كلاهما كافرتان ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

لقد ذكر الله تعالى أن امرأة نبيا الله نوح و لوط عليهما السلام خانتاهما في قضية الإيمان ؛ فاتبعها غير سبيل المؤمنين، وذكر الله عاقبتهم أنها من أصحاب النار، كما قال سبحانه:

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ التحريم/10 .

يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للذين كفروا من الناس وسائر الخلق امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبيدين من عبادنا، وهما نوح و لوط فخانتاهما. ذكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطا كان يسر الضيف، وتدل عليه.

انظر: "تفسير الطبري" (111 / 23).

ثانياً:

ذكر بعض أهل التفسير عند تفسير قوله تعالى: **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** : أن المقصود بصاحبتة: امرأة لوط ، والمقصود بأبيه: والد إبراهيم، والمقصود ببنيه: نوح .

قال السمعاني: " وَقَوْلُهُ: **يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ** : يفر مِنْهُمْ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ ، وَيَنْتَفِعَ بِهِمْ.

قيل: يفر لئلا يروا الهوان الذي ينزل فيه .

وقيل: يفر مِنْهُمْ ضجرا ؛ لعظم ما هُوَ فِيهِ .

وَفِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: أَنَّ قَوْلَهُ: **مَنْ أَخِيهِ** : قَابِيلُ مِنْ هَابِيلِ.

... وَقَوْلُهُ: **وَأَبِيهِ** : هُوَ **إِبْرَاهِيمَ** - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مِنْ **أَبِيهِ**.

وَقَوْلُهُ: **وَصَاحِبَتُهُ** : هُوَ **لُوطُ** - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ زَوْجَتِهِ.

وَقَوْلُهُ: **وَبَنِيهِ** : هُوَ **آدَمُ** - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ بَنِيهِ الْمَفْسُودِينَ، وَقِيلَ: هُوَ **نُوحُ** - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ ابْنِهِ "انتهى من تفسير السمعاني" (162 /6).

وقال القرطبي: " (وصاحبته) أي زوجته. (وبنيه) أي أولاده. وذكر الضحاك عن ابن عباس قال: يفر قابيل من أخيه هابيل .. وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ونوح عليه السلام من ابنه، ولوط من امرأته، وآدم من سوءة بنيه.

وقال الحسن: أول من يفر يوم القيامة من، أبيه: إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح، وأول من يفر من امرأته لوط. قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ " انتهى من "تفسير القرطبي" (19 /225)، بتصريف.

وهذا القول ينسب للحسن وقتادة ، وفي إسناده عنهما مقال، ولم نقف عليه منسوبا لأحد فوقهما.

وننبه هنا على أمور مهمة في بيان ذلك ، وفهم المراد من الآية :

الأول : أنه - مع فرض ثبوت هذا التفسير عن قال به من السلف - : فإن لفظ الآية عام ، وما ذكر من الأشخاص ، أو الأسماء : هو من باب الخاص ، والعبرة في معنى الآية : عموم اللفظ ، لا خصوص السبب ؛ إن صح أن الآية نزلت في سبب بعينه ، خاص .

وعلى ذلك ؛ فإذا إذا قيل في آية: إنها نزلت في كذا، فهذا لا يعني أنها تُقصر على هذا السبب، بل المراد هنا الألفاظ، ولذا تعمم هذه الألفاظ ؛ وإن كان السبب خاصاً .

واعتمد هذه القاعدة أكثر علماء الأمة من مفسرين وغيرهم، والمحققون من أهل الأصول، بل حكى الزركشي الإجماع على ذلك ، وطبقها السلف في تفسيرهم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وقصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئاً منها لم يقتصر على سببه".

ينظر: "فصول في أصول التفسير" ، للشيخ مساعد الطيار (132) ، "دراسات في علوم القرآن" للدكتور فهد الرومي (433) .

الثاني :

أن كثيراً من السلف يذكر أسماء ، أو أعياناً خاصة ، في تفسير بعض الآيات ، ويكون ذلك على سبيل ضرب المثال للمعنى المراد من الآية ، وليس على سبيل حصر معنى الآية في اللفظ الخاص المذكور .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الصنف الثاني " - يعني : من خلاف السلف في التفسير - : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع - لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومته وخصوصه .

مثل سائل أعجمي سأل عن مسمى " لفظ الخبز " فأري رغيفاً وقيل له: هذا. فالإشارة إلى نوع هذا لا إلى هذا الرغيف وحده .. " ، انتهى من "مجموع الفتاوى" (13/337) .

وقال الشاه ولي الله الدهلوي ، رحمه الله :

" وقد تحقق لدى الفقير أن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم أجمعين - كثيراً ما يقولون: "نزلت الآية في كذا" ، ولا يكون غرضهم إلا تصوير ما تصدق عليه الآية من الأحداث والمعاني، وذكر بعض القصص والوقائع التي تشملها الآية الكريمة ، لعموم لفظها، سواء كانت القصة متقدمة على نزول الآية ، أو متأخرة عنها، إسرائيلية كانت أو جاهلية، أو إسلامية ، تنطبق على جميع قيود الآية أو بعضها. والله أعلم.

انتهى من "الفوز الكبير في أصول التفسير" (176) .

وعلى ذلك :

فما ذكر في تفسير "الزوجة" و"الأب" و"الولد" ، الذي يحصل منه الفرار يوم القيامة ، بأنها زوجة فلان ، أو ابن فلان = كل هذا إنما هو على باب ضرب المثل لما يكون في ذلك الموقف ، وإيضاح معنى الآيات ، بذكر بعض ووقائعها ، وشرح العام ، بذكر بعض أفرادها .

فليس مرادهم حصر فرار زوجة لوط من لوط فحسب، ولكن فيه تنبيه عليها ، لتكرر ذكرها في القرآن بالسوء ، بخلاف زوجة نوح عليه السلام فلم يذكر لها شأن على جهة التفصيل ؛ والظاهر أنهما وإن اشتركتا في الكفر ، لكن كان أمر زوجة لوط أشد ، وفسادها أظهر ، وخيانتها أبين .

ثم تنبه أخيراً :

على أن الفرار : منه فرار البغض، والتبرؤ ؛ كفرار المؤمن من الكافر .

وهناك فرار لانشغال الإنسان نفسه، وشدة هول الموقف العظيم ؛ وقد يحصل هذا لأهل الإيمان ، بل لأقرب الخلق إلى نفس

الإنسان ، وألصقهم بقلبه ، وأعظمهم رافة به.

قال الله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ الْحَج/1-2 .

والله أعلم .